يروهُ هم الاَّ بعد مضي بضعة عشر عاماً في الاخبار والاطلاع على سير الاحوال . ووافتهُ منيتهُ فانتقل الى رحمة ربهِ بعد ما كتب ابرهيم بك الهلباوي قائلاً بلسانهم في جريدة المؤيد ان النفور الذي كانوا يشعرون بهِ من مصطفى باشا فهمي لانهُ اول شخص موالٍ للاحتلال قد تبدل بمحبة واحترام وان البناء الذي كانوا يسعون في تشييدهِ وتأييدهِ والاستظلال بظلهِ قائم على اساس ضعيف

ولما تأملنا هذا التغير في رأي الجمهور ونحن نتتبع ادوار تغيرهِ بسرور حانت منا التفاتة الى البحر فاذا موجة خضراء قد تعالت وتعاظمت حتى طغت على ما حولها ثم انقلبت وصدمت صخرًا امامها فتنفست عليهِ وهي ترغي وتزبد وتطاير زبدها في الجو حتى اخفى الصخر عنا ولم يبقَ غير مائها وزبدها امام اعيننا . ولكن لم يكن الاَّ كلمح القبس حتى ارتدَّ ذلك الماء الى جوف البحر وغاب في لجهِ وانحسر عن الصخر فبان الصخر ثابتاً راسخاً في موضعهِ . فقلنا ما اشبه امر هذه الموجة بما يجري في تاريخ البشر من الحوادث والعبر فترانا نجتمع ونفترق ونختلف ونتفق ونهيج ونجيش ثم نسكن ونغيب في لجج بحر الدهر ولا يبقى الاَّ الحق والصواب ثابتين كالصخر

التصعيد في الجبال

اذا وضعتَ عصاً على الخمص طفل عمرهُ بضعة ايام انقبضت اصابع قدمهِ عليها كأنهُ يحاول مسكها . وقد يسهل رفع الطفل عن الارض بانقباض اصابع قدميهِ على العصا وتعلقهِ بها . ويقول البعض ان ذلك دليل على ان اسلاف الانسان الاولين كانوا يستعملون اقدامهم في اعتراش الاشجار كما يستعملون ايديهم وكما تستعمل القرود اياديها واقدامها . وسواء صحَّ هذا القول او لم يصح فالميل الى اعتراش الاشجار والتصعيد في الجبال غريزي في الانسان يظهر في صغارهِ ويرتاح اليهِ كبارهُ ويقدم عليهِ غير مبالٍ بما قد يؤدي اليهِ من المخاطر

يخطر على بالنا الآن مافعلناهُ في سن الصبا فنستغرب اقدامنا عليهِ لولا هذا الخلق الفطري . وقفنا ذات يوم تجاه جبل صنين اعلى جبال لبنان فرأيناهُ شامخاً يناطح السحاب وكنا عند سفحهِ على مقربة من نبعهِ وقيل لنا ان الطريق الى قنتهِ بعيد طويل وانهُ قد يمكن الصعود اليها في خط مستقيم مواجهةً . فشرعنا نصعّد ولا مرشد لنا ولا دليل ولا شيء يقينا من التدهور الاَّ اغصان البربريس الشائكة نتشبث بها في بعض الاحيان . وجانب الجبل هناك مفروش بفتات الصخور لا تثبت فيهِ قدم وتحتنا هوَّة زاد عمقها بارتفاعنا حتى صار الوقوع من الاقدام ومع ذلك

لم نبالِ بالخطر ولم تنفكَّ عن التصعيد الى ان بلغنا القنة العليا . فاسترحنا هنيهة ثم عدنا أدراجنا وكنا نجلس على فتات الصخور فتنهار بنا مئة قدم او اكثر الى ان يتجمَّع كثير منها تحت اقدامنا ويقف عن الانهيار ثم نكرر ذلك فبلغنا سفح الجبل في دقائق ولا يفعل هذا من يقدّر العواقب .

ويظهر هذا الميل على اشدهِ في الذين يصعّدون في جبال الالب وهي مغطاة بالثلج والجليد . والثلج اذا تراكم بعضهُ فوق بعض وضغط اعلاهُ على اسفلهِ وكان ذلك على سفح جبل زحل على ذلك السفح زحلاً كأنهُ نهر بطيءُ الجريان فينحر جوانب الجبل بسيرهِ كما تفجرها انهر الماء فتتخلخل الصخور منها وتتدهور عليهِ ولذلك ترى الحجارة منتشرة على جانبيهِ . واذا بلغ شرفاً او بقعةً منخفضة تشقَّق فظهرت فيهِ شقوق عميقة كالاودية كما ترى في هذا الرسم وقد رسم فيهِ نهر من انهر الجليد والحجارة منهارة على جانبيهِ والشقوق بادية فيهِ . والمصعدون في الجبال قد يمشون على هذه الانهار تتقع الصخور عليهم وتسحق رؤوسهم او يقعون في الشقوق فيدفنون في الثلج احياء ومع ذلك لا ينفكُّ الناس عن التصعيد في جبال الالب سنة بعد أُخرى

وقد وقفنا الآن على مقالتين موضوعهما التصعيد في جبال الالب للسيدة اوبري له بُلِّد شرحت فيهما بعض ما يلاقيهِ المصعدون من المشاق وهي من اخبر الناس في هذا الموضوع

ومن اكثرهم تصعيداً في الجبال فاقتطفنا منهما مايلي

قالت الكاتبة ان التصعيد في الجبال احب الملاهي لانهُ اشدها خطراً فهو كصيد الاسود وركب السوابق لذتهُ في مخاطرهِ

ويظهر مما يحدث سنوياً للمصعدين في جبال الالب ان التصعيد فيها لايخلو من الخطر ولكن الذين يؤخذون فيهِ اما انهم اغفلوا الحذر الواجب او لم يسترشدوا بالادلة الاكفاء ومع ذلك اذا نفذ القدر بطل الحذر

حدث منذ عهد قريب ان شاباً انكليزياً صعد في جبال الالب الى اعلى مكان امكنهُ الوصول اليهِ وعاد راجعاً وكان معهُ دليلان ماهران احدهما امامهُ والآخر وراءهُ فوقع صخر كبير على رأس الدليل المتقدم فقتلهُ حالاً ودفعهُ الى هوَّة عميقة وكان الثلاثة ممسكين بحبل واحد فوقع الشاب والدليل الثاني فوق الدليل الاول نحو تلك الهوة ورأى الدليل الثاني شقاً كبيراً في الجليد قبل الوصول الى حافة الهوة وعلم انهُ ان استطاع ان يعلق بهِ فقد ينجو هو والشاب من الوقوع في الهوَّة وكانت السقطة قد رضَّت مفاصلهُ ولكنها لم تذهب برشدهِ فتمكن من النزول في الشق هو ورفيقهُ المقتول والشاب الذي معهما ونهض للحال وانهض الشاب واخرج الرمل من فيهِ وصعد بهِ من الشق قبل ان يقع عليهما حجر يصرعهما لان الحجارة كانت تنهال من جانب الجبل تباعاً بسبب اشتداد الحر حينئذٍ وذوبان الجليد المسك لها . وكان صعودهُ من الشق على تلك الصورة وليس معهُ شيء يتعلق بهِ من الخوارق حتى ولو لم يكن جسمهُ مترضضاً . وظلاً يصعدان تسلقاً وتشبثاً الى ان بلغا مكاناً امينا . وبقيا اسابيع كثيرة قبل ان شفيا من سقطتهما . وأُخرجت جثة رفيقهما من الشق في اليوم التالي بعد عناء شديد

هذا الشق نجى اثنين من الهلاك والشقوق في الغالب مهالك يهلك فيها المصعدون في الجبال كما حدث منذ عامين فان رجلين فرنسويين ودليليهما سلكوا الطريق في ليلة شديدة العواصف وكانوا في ابرد بقعة من جبال الالب فباتوا يمشون ذهاباً وايابا لكي لا يهرأهم البرد لانهُ هرأ الفرنسويين وبقي الدليلان حيين الى الصباح فنزلا عن الجبل وقد مزقت العواصف ثيابهما وجمد الدم والثلج على وجهيهما ولقيا في نزولها جماعة من المصعدين فاخبراها عن موت رفيقيهما برداً في أعلى الجبل فاضاعت الجماعة رشدها واسرعت نحو ذينك المنكودي الحظ لعلها تجد فيهما رمقاً وكان الواجب عليها ان تترك الميت وتهتم بالحي فظلَّ الدليلان نازلين على ما بهما من الضعف . وبعد ساعة من الزمان كان في الوادي رجل بيدهِ نظارة ينظر فيها

الى الجبل فرأى رجلاً وقع في شق من شقوق الجليد وهو احد الدليلين وللحال قام جماعة من اهل النخوة وصعدوا لتخليصهِ فوجدوا ان رفيقهُ وقع معهُ ايضاً واحدهما قتل والآخر لا يزال حيًّا فانقذوهُ بعد عناء شديد . والجماعة الاولى وجدت جثتي الفرنسويين على عشرين مترًا فقط من الطريق المطروق ولم تجد فيهما رمقاً فاضافت جبال الالب ثلاثة في ذلك اليوم الى عدد قتلاها . والغالب ان الذين يهرأم البرد او يقعون في المهالك توجد جثثهم حالاً ولكن قد لا توجد ابدًا وقد توجد بعد زمن طويل . مثال ذلك ان رجلاً انكليزيًّا اسمهُ هنري ازكريت صعد الجبل الابيض (منت بلانك) ومعهُ دليل وحاملان لحمل امتعتهِ وصعد معهُ صاحب الفندق ورفيق لهُ واختاروا طريقاً مختصرًا لان الوقت كان في اكتوبر والنهار قصير الاَّ ان ذلك الطريق كان كثير المخاطر يتجنبهُ المصعدون غالبًا . فلما وصلوا الى مكان يكثر سقوط دحاريج الثلج فيهِ سقط عليهم دحروج كبير جدًّا فجرف اركريت ورفاقهُ الثلاثة واما صاحب الفندق ورفيقهُ فتمكنا بصعوبهما ولم يجرفا ولكن انقطع الحبل الواصل بينهما . ولما تنقى الهواء من قطع الثلج النازلة مع الدحروج نظرا حواليهما فلم يجدا اثرًا لاركريت ودليلهِ والحاملين اللذين معهُ ولكنهما رأيا الدحروج الذي جرفهما قد انبسط في مكان مطمئن تحتهما فنزلا اليهِ وبقيا ساعتين ينتشان فيهِ فوجدا جثة احد الحاملين فقط واضطرا ان يعودا الى الفندق فوجدا اخت اركريت هناك جالسة تصوّر وقد صعدت مع اخيها في اليوم السابق ونزلا سالمين . فدخل صاحب الفندق ليخبرها بما حدث لكن أُرتج عليهِ ولم يستطع الكلام فنظرت اليهِ وقالت اخي اخي ماذا جرى لهُ فقال لها تشجعي . فجثت على ركبتيها وطلبت المعونة من الله ثم قالت هات اخبرني بما توقع فاخبرها . واخذ المفتشون يفتشون عن جثث القتلى وظلوا عشرة ايام فلم يجدوا جثة اركريت واشتدت الانواء والعواصف فمنعتهم عن التفتيش . وبعد احدى وثلاثين سنة وجدت جثة هذا الرجل في منخ الجبل صاربها نهر الجليد رويدًا رويدًا الى ان بلغت الى هناك وعرفت مما وجد معها من امتعتهِ كازرار قميصهِ ونقود كانت في جيبهِ وقلم رصاص من الذهب ووجد منديلهُ ايضاً وعليهِ حروف مقتطعة من اسمهِ والفرقة التي هو منها لانهُ كان يوزباشيًّا في الجيش الانكليزي

ويحمل الذين يصعدون في جبال الثلج معولاً يحفرون بهِ حفرًا في الثلج تقف اقدامهم فيها لان سطح الثلج يكون في الغالب صقيلاً تزلق الاقدام عليهِ ولاسيما اذا كان مائلاً . وقد يزلق الدليل ويقع المعول من يدهِ فيتدهور ويدهور تابعيهِ معهُ . وكثيرًا ما يقف على جرف من الثلج فينهار الجرف او ينكسر بهِ . فان الثلج قد يتصلّب في بعض الاماكن وينهار

ما تحتهُ رويدًا رويدًا فيبقى بارزًا من جانب الجبل كالافريز يقف المصعدون عليهِ ولا يحسبون انهُ بارز في الهواء لا شيءٌ تحتهُ يسندهُ . حدث منذ بضع سنوات ان سائحًا كان يصعّد في جبال الالب هو وامرأة اخيهِ ودليلان اسم احدهما هنسن واسم الآخر خرستيان والاربعة مرتبطون بحبل واحد . واتفق ان الرجل وامرأة اخيهِ والدليل خرستيان تقدموا ووقفوا على افريز من افاريز الثلج فسقط تحت اقدامهم ووقعوا على سطح صقيل من الثلج مائل جدًّا لا تثبت القدم عليهِ وكان لا بدَّ من تدهورهم كلهم الى اسفل الوادي الذي تحتهم وعمقهُ لا يقلُّ عن الفي قدم الاَّ ان الدليل الثاني الذي كان واقفًا وراءهم وثب حالاً الى الجانب الآخر من حرف الثلج فصار قادرًا على حفظهم من الوقوع في الوادي اذا كان الحبل الذي ارتبطوا بهِ متينًا يحمل الثلاثة ولا يقطعهُ حرف الثلج وسقط المعول من يد الدليل الاول وقتما وقع الافريز بهِ لكن معول السائح بقي في يدهِ فلم يبقَ سبيل لنجاتهم الاَّ ان يرمي بهِ الى الدليل فيلتقطهُ ويحفر بهِ حفرًا في الثلج تقف بها اقدامهم والاَّ فلا بدَّ من سقوطهم في الهاوية التي تحتهم حالما ينقطع الحبل بهم . وفعل الرجل ذلك فرمى بمعولهِ الى الدليل الاول فتلقَّاهُ هذا وجعل يحفر بهِ حفرًا صغيرة في الثلج تثبت فيها الاقدام فصعد الثلاثة عليها ونجوا

وكثيرًا ما يصاب المصعدون بدوار مثل دوار البحر فيسقطون عن الشواهق . حدث سنة ١٨٩٨ ان رجلاً اسمهُ نارودا مشهورًا بتصعيد الجبال صعَّد مع زوجتهِ وصديق لهُ في قنة صعبة جدًّا وكان قد بلغها ست نوبات قبل ذلك اما في هذه النوبة فكان متحرف الصحة فلم يكد يبلغ اعلاها حتى صرخ انهُ وقعت . ووقع على ظهرهِ وتدهور مئة قدم وكان رفيقهُ واقفًا تحتهُ فامسك بالحبل جيدًا فشدَّ الحبل على ذراعهِ وقطع اصابعهُ واطلَّ الرجل وزوجة نارودا عليهِ فوجداهُ معلقًا بالحبل يد واحدة وتحتهُ هوَّة عميقة جدًّا . وبعد عناء شديد وصلا اليهِ ووضعاهُ على سطح مستوٍ من الجليد وكان لا يزال في دوارهِ ولم يكن معهم طعام ولا شراب . وكانت الساعة الثانية بعد الظهر فجعل رفيقهُ وزوجتهُ يصرخان ويناديان وظلاَّ ثلاث ساعات الى ان سمع البعض صوتهما واقبلوا لمساعدتهما ولم يتمكنوا من انزالهِ عن الجبل الاَّ في الصباح التالي وبات الليل كلهُ يهذي ولما بلغوا بهِ سفح الجبل اسلم الروح

وفي الصيف الماضي صعَّد ثلاثة الى هذه القنة ولم يشأ دليل من الادلة ان يصعد معهم لصعوبة البلوغ اليها لكنهم بلغوها سالمين وبينما هم آخذون في النزول فاجأتهم زوبعة من الثلج اضطرتهم ان يبيتوا هناك . وحاولوا النزول في اليوم التالي فلم يستطيعوا لكثرة الثلج فباتوا هناك ايضًا ولا غطاء معهم ولا شيء يقيهم ذلك البرد القارس ووجدهم البعض حينئذٍ وانقذوهم سالمين

وذكرت الكاتبة نوادر أخرى من هذا القبيل وقالت في الختام ان التصعيد في جبال الثلج لا يكون محفوفاً بالمخاطر دائماً بل قد يكون كلهُ بهجةً وحبوراً ولذلك يعشقهُ الناس ولا ينفكون عنهُ

باب الزراعة

محصول القطن ومستقبلهُ

ان غلة القطن من الولايات المتحدة والهند ومصر تبلغ نحو سبعين مليون قنطار فيكون القطن المصري اقل من عشرها . والقطن الاميركاني وحدهُ نحو ٥٥ مليون قنطار والقطن الهندي نحو عشرة ملايين قنطار والقطن المصري من ستة الى سبعة ملايين قنطار

ويرد الى البلاد الانكليزية كل سنة من ١٨ الى ٢٠ مليون قنطار وقد كان الوارد في العام الماضي نحو ١٨ مليون قنطار فقط وهي ١٣ مليون ونصف من القطن الاميركاني ونحو ثلاثة ملايين من القطن المصري ونحو مليون من القطن الهندي ونصف مليون من سائر الاقطان . وكان الوارد سنة ١٨٩٨ نحو ٢١ مليون قنطار ثمانية عشر منها من القطن الاميركاني ونحو مليونين وثلاثة ارباع من القطن المصري ونحو ربع مليون من القطن الهندي

فاذا تمكّن الاميركيون من العمل بما ينوون العمل بهِ وهو ان يكثروا معامل القطن في بلادهم حتى يغزلوا وينسجوا كل قطنهم فالقطن المصري كلهُ وضعفاهُ لا تفي بحاجة المعامل الانكليزية . واذا استطاعت المعامل الانكليزية ان تشتغل دواماً كما اشتغلت سنة ١٨٩٨ مثلاً وتجد اسواقاً لمنسوجاتها ومغزولاتها كلها لم تكتفِ باقل من عشرين مليون قنطار اي باكثر من ثلاثة اضعاف محصول القطر المصري

اما ازدياد معامل القطن في اميركا حتى تصير تغزل وتنسج كل القطن الاميركاني فامر قريب الوقوع لان هذه المعامل زادت ثمانية اضعاف منذ عشرين سنة الى الآن ولا يمنعها من الازدياد بسرعة ايضاً الاّ كون الاسواق التجارية لم تفتح كلها حتى الآن للبضائع الاميركانية كما هي مفتوحة لغيرها او كون التجار الاميركيين لم يصلوا اليها حتى الآن او لم يروّجوا بضائعهم فيها ولكنهم سيفعلون ذلك بعد زمن غير طويل . ولذلك يهتم الانكليز الآن اشد الاهتمام